الفصل الثاني عشر
آسيا زوجة فرعون وبيتا لها بالجنة

"آسيا بنت مزاحم"، أو امرأة فرعون كما ذكرها القرآن الكريم وذكرتها كتب التاريخ كامرأة لديها القدرة على الاختيار، كانت ملكة متوجة، لديها من معالم الترف ما يكفيها دهراً كاملاً، هي امرأة فرعون الحاكم التي تتحرك الدنيا وفقاً لإشارة منها، بدأت قصتها بالعثور على تابوت "موسى" الطفل الذي قذفت به أمه في اليم بعد أن أمر زوجها فرعون بذبح الرضع، احتضنته كأمه، وأقنعت زوجها بأن يكون لهما طفلاً، ثم صدقته نبياً، عندما بدأت رحلته مع النبوة.

ذُكِرتْ آسيا امرأة فرعون هذا الطاغية في كتاب الله عز وجل امرأة مؤمنة أمنة بالله رغم أنها في كنف ذلك الطاغية الظالم الكافر فقال الله تعالى " وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١١)التحريم

عندما دعا موسى عليه السلام إلى توحيد الله تعالى آمنت به آسيا امرأة فرعون وصدقته، ولكنها في البداية أخفت ذلك خشية فرعون وما لبثت حتى أشهرت إيمانها بدين موسى عليه السلام، وجن جنون فرعون لسماعه هذا الأمر المروع بالنسبة له، وحاول عبثاً ردها عن إسلامها وأن تعود كما كانت على عقيدتها الفاسدة.

فقد كانت تستمع باهتمام لأخبار موسى وفوزه في معركة السحرة، ثم أعلنت إيمانها برب موسى، لم تختر الملك، والمال، واختارت

العذاب تحت صخرة ضخمة في حرارة الشمس التي ألقى بها فرعون تحتها للرجوع عن الإيمان برب موسى، وأثرت أن تطلب من الله الذي آمنت به لتوها أن يريها بيتها في الجنة، فهي من ربته،وآمنته وحمته من غدر فرعون حتى يشتد عوده ويكمل رسالته، هي من أحبت طفلها فصدقته وآمنت بربه، وهى من احتملت العذاب من أجل نظرة لقصرها في الجنة، وقال رسول الله صل الله عليه وسلم :عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، عَنْ مُرَّةَ الهَمْدَانِيِّ، عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ: إِلَّا آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ). وهى من وضعها النبي محمد "عليه الصلاة والسلام" ضمن أربعة سيدات وصفهن بأنهن من "كملن" خديجة بنت خويلد، فاطمة بنت محمد، ومريم بنت عمران، وآسيا بنت مزاحم، امرأة فرعون.

وهذا الحديث رواه البخاري (٣٤١١) ، ومسلم (٢٤٣١) وغيرهما من أصحاب السنن تحملت آسيا كل هذا العذاب يقينا من قلبها أن الله سيجعل لها بيتا في الجنة ولن يردها مكسورة بدعائها له باعت الدنيا والعز والملك والسيادة؛ لتشتري الإيمان أنها قلوب اطمأنت بما أعده الله لها بالجنان .